الإسلام «حياة» وأعماق إنسانية وأبعاد حضارية

صورة مشرقة متكاملة

العجز عن فهمها والقصور عن معناها إساءة إلى الإسلام.

توهج الإسلام بحب الحياة فاعترف بمتاعها ومتعتها .. أقر زينتها وطيباتها وطيوبها فلا انطوائية ولا قوقعة ولا جمود ولا تشدد فهو يُسر، أمر المسلم أن يوغل فيه برفق فإنه لا يشاد الدين أحد إلا غلبه .. إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ...

الإسلام أنيق يحب الجمال والزينة والنظافة .. أوجب طهارة الجسم كالروح وزكى الطيب والخضاب، وأباح التزين وأتاح المتعة فى غير حرام، وألزم بالوضوء والاغتسال فكان نظاما جامعا للدين والدنيا

إن الإسلام لا يرفض إلا الإلحاد. لقد اعترف الإسلام بالكتب السماوية قبله فى صورتها الأولى، كما أنزلت

إن الإسلام حين يقول [كنتم خير أمة أخرجت للناس] يشترط هذا أو ما يقرنه بقوله فى تمام الآية [تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر] ... كل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى عداد الخيرين الأخيار ...

[إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون]

٦٢ م البقرة.

ويقول الله تعالى: [ولقد كرمنا **بنى آدم** وحملناهم فى البر والبحر] أى كرم **الإنسان**... فى كل جيل وقبيل.

ويقول: [ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا، الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون]

المائدة ٨٢.

وكان صحابة الرسول عليه السلام: «بلال **الحبشى**» و«أبو رافع» **القبطى** أصلاً، و «سلمان **الفارسى**».

لقد عاش اليهود مرفوضين مضطهدين من جميع الأمم وفى كافة العصور فلم يحسن معاملتهم إلا المسلمون وفى أوج نفوذهم، فى الأندلس ولم يجدوا الأمان إلا فى دولة الإسلام وشهد بهذا د . ج . هـ . هرتس حاخام إنجلترا فى كتابه (فى الفكر اليهودى).

نهى الإسلام عن التكفير فحين أقبل أحد أعداء الرسول على مجلسه خشى أحد أتباعه عليه السلام وعلا الرجل بالسيف فغضب صلى الله عليه وسلم وقال قولته المنصفة والسمحة [هلا شققت عن قلبه؟]

كان وراءه، القرآن الكريم الذى يقول فيه جل شأنه:

[ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة]

ويقول سبحانه [لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى].

وهنا نتبين أن الإسلام **لم ينتشر بالسيف**. لقد كان فى موقف دفاع ... إن الدولتين الكبيرتين فى إبان ظهوره كانتا تتهددان وجوده إن ما عند الروم والفرس من السلاح أكثر ولكنها قوة المبادئ والروح.

لقد فتح هولاكو بالسيف فدمر فلم يدم له ذكر ولم يقتنع به عقل ولم يحبه قلب ولكن الإسلام حين فتح، عمّر وبنى ٢٥ مدينة منها «بغداد» فى العراق و«اللد» فى فلسطين.

وحين شرع الإسلام، الحرب للدفاع عن النفس، نهى عن الظلم والتدمير **وأحاطها بالتشريع** وحرم التمثيل بالميت وقتل النساء والأطفال وبقر البطون مما ترتكبه الحروب الحديثة على الرغم من ترديد حقوق الإنسان .. فلا مراء أن تناشد وثيقة الفاتيكان التى طبعت للمرة الثالثة سنة ١٩٧٠، [فتح الحوار بين المسيحيين والمسلمين معترفة بمظالم الماضى التى ارتكبها الغرب فى حق المسلمين ودعت إلى استبعاد تلك الصورة البالية التى ورثنا الماضى إياها _ نص الوثيقة _ أو شوهتها الإفتراءات والأحكام المسبقة.

Orientations pour un dialogue entre Chrétiens et Muslums.

إن **التوحيد سر البطولة فى الإسلام** ... فيه سمو على الأشياء وعلو على الصفات.

إن التوحيد الإسلامى هو المحور الثقافى.

توحيد **الذات** فلا انفصام ولا تشقق

توحيد **المجتمع** فيبرأ من الشيع والتطاحن

توحيد **العالم** نحو القيمة الكبرى أى الله

ومن هنا يأتى التدين فى الإسلام تفسيرا ت وجدانية ارتفعت على لغو الكلام وعقم الجدل وأترعت بسلام وطمأنينة هى حكمة قلب حقق عمليا معنى التوحيد ومعانى الرحمة والبناء وعز الاتقان ونعيم البر بالحرفة، وأبهة الخلق المنطلق والمطلق، وصمت الخاشع المستمع وهناءة المستمرئ السعيد.

الإيمان فى الإسلام هو ما استقر فى القلب وصدقه العمل، فلا يقول قائل (لا حول ولا قوة إلا بالله) ثم يخاف من إنسان حاكما أو محكوما ... ولا نقول (إياك نعبد وإياك نستعين) ثم نتخذ من دونه أربابا.

ومن هنا يكون **الإسلام كرامة واعتدادا** .. فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

إن كلمة (**الله أكبر**) فى الإسلام تصنع المعجزات قالها جنودنا مسلمين ومسيحيين عندما عبروا سنة ١٩٧٣ فانتصروا على عدوهم الذى ملكه الغرور وتحدى وتجبر بخط بارليف وادعى أنه لا يقهر.

الله أكبر

قارون غنى ... الله أكبر

هولاكو طاغية ... الله أكبر

سليمان ملك ... الله أكبر

لقمان حكيم ... الله أكبر

من إشراقات الإسلام استهلاله فاتحة الكتاب بأن الله «**الرحمن**» .. «**الرحيم**» من بين أسمائه الحسنى جميعا

إنه **دين الرحمة** ...

إنها رحمة أن يضاعف الإسلام الجزاء فى الحسنة ويقصره على «المثل» فى السيئة.

الرحمة فى الإسلام علاقة بين الإنسان وخالقه تظلل الإنسان بالطمأنينة من لدن الرحمن الرحيم .... بينما التوراة قلما ذكرت الرحمة .. حتى حين ذكرت الرحمة وردت فى سفر التثنية (السفر الخامس) الذى يعزو الدكتور فؤاد حسنين وضعه إلى محاولة إنقاذ مملكة يهوذا، أى أنه مستحدث لغرض، ولهذا يخالف الأسفار السابقة ... حتى الوصايا العشر عرضها (عرضا جديداً يخالف العرض الآخر الذى ورد فى سفر الخروج).

والرحمة فى المسيحية تُلتمس من الله، ولكنها فى الإسلام وعد من الله أى أمر محقق أو (حق) كما يقول الدكتور كامل حسين فى كتابه (الذكر الحكيم) .... أمل مطروح ومفتوح وهو شعور يزيد فى طمأنينة النفس المسلمة.

من ميزة الإسلام أنه **أسلوب حياة** ... نمط سلوك من أبسط الأشياء إلى أعلى الأشياء.

دين الاتقان تجويدا للقرآن.

وتجريداً للخط العربى حتى غدا تسعين قلما.

دين البساطة الخالية من التعقيد فالمسلم يتصل بالله بدون وساطة (إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به وإن أتيتكم بشئ من أمور دنياكم فأنتم بها أعلم) أو ما معناه

وهو درس فى احترام الإنسان وعقله وإرادته وحريته.

وقد توطد هذا الاحترام الجامع فى المساواة ...

حارب الإسلام، العلو، فى الأرض فالمساواة دعوته لا شريعة الغاب يوم أعطت الدول الكبرى (حق الڤيتو) لمجرد أنها قوية أى مرخص لها بالبطش والافتراس .. ومن يعترض تستعمل (حق الڤيتو) أو استثناء الڤيتو بتعبير أدق.

من أدب الإسلام: **الترابط**

الزكاة ربط بين الغنى والفقير فى غير منّ أو أذى

والحج رباط بين المسلمين جميعا على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم أخوانا فى العقيدة والدين والإيمان والهدف والغاية يتعارفون ويتقاربون ويتشاورون ويقدرون مسئولياتهم المشتركة فهو مؤتمر إسلامى كبير.

قدس الإسلام العمل ومع هذا حنا على الخطأ الذى يعنى المحاولة والتجريب.

إن الإعلام يركز على القيمة الاقتصادية للعمل وينسى دائماً القيمة الإنسانية التى تكتسب من الخلوص للعمل والخلوص نقطة لا ترى ... نقطة تلاقى الكيان الإنسانى بمذخوره، مجمعا، فى سن القلم أو الريشة عند ملامستها للصفحة أو اللوحة.

ومن هنا يكون الصمت فى العمل، سبيلا إلى التجويد الصمت فى العمل جمع للنفس وميلاد للقيمة

إن العمل فى الإسلام قرين الإيمان. إن الثقافة الدينية الحقيقية جزء منسى من تربية الإنسان فى هذا العصر ثم تعجب كيف ينحرف الشباب. إن إهمال التربية الدينية هو قص من جذور الشجرة ثم نتساءل عن سبب اصفرار الأوراق.

وحين احترم الإسلام، الإنسان، سحب الغرب أو العصر الحديث السجادة من تحت قدميه. سئل يونج عن سر أزمة أوربا فى كتابه The Undiscovered Self فقال (هى **ضياع الفرد)**

ولم يكن «يونج» وحده ممن نقدوا الحضارة الغربية: «برناردشو، فى كتابه (دليل المرأة الذكية)، وديوى فى كتابه عن الفردية القديمة والحديثة Individualism Old and New الذى أشار فيه إلى التشقق فى النفس الأمريكية و Alexes Karelle الفرنسى فى كتابه (الإنسان ذلك المجهول)

إن كمال الحضارة أن يكون كل فرد فى المجتمع له مكان لا يغنى غناءه أحد، فيه. ولكن الإنسان المقيد بالحشدية، إنسان نمطى كاليونفورم.

من قوة الإسلام ووثوقه فى نفسه، أن **دعا إلى التفكير والتأمل** ...

ليس فيه ضعف يخيفه ويخفيه بتحريمه المناقشة.

من قوة الإسلام ووثوقه اعترافه بالحضارات كالأديان لم يكن موقفه الرفض بل القبول وهو علامة قوة ووثوق وتفتح وانفتاح وسماحة وعمق ادراك.

أكب المسلمون على الاسكندرية ينقلون فلسفة أفلوطين أو كما يدعوه الشهرستانى، خطأ، (الشيخ اليونانى وهو مصرى صعيدى)

وكما نقل الإسلام الفلسفة نقل الجغرافيا والفلك والكيمياء والرياضة والطب والهندسة والطبيعة ...

والطبيعة الخصبة هى الصالحة للتلقى ... إذ تجمع لهم من التلقى والنقل والترجمة قدر طيب، أخذوا فى بناء حركتهم العلمية وحضارتهم الإسلامية التى بهرت أوربا حين قامت له دولة فى الأندلس ... حتى الكنائس الأوربية تأثرت بالكنائس الشرقية المتأثرة بدورها بالفن العربى فظهرت فى الكنائس الأوربية الزوايا والبروج المستديرة.

* **ابن الهيثم** فى الهندسة التحليلية... وهو أبو البصريات الحديثة وقد أثبت فى كتاب (المناظير) قوانين انكسار الضوء ودرس حركة الأجسام ووصف جراحات العيون وأطلق الأسماء على أجزاء العين مثل الشبكية والقرنية والسائل الزجاجى.
* **ابن سينا** عنه نقلت أوربا كتاب (القانون) فى الطب.
* **الزهراوى** وعنه نقلت أوربا مرجعها الأكبر فى الجراحة وتجبير العظام وهو كتاب (التعريف لمن عجز عن التصريف) وقد طبع باللغة اللاتينية. وقال العالم الطبيعى «هالر» فى رواية جوستاف لوبون إن كتب أبى القاسم كانت المراجع للجراحين جميعا بعد القرن الرابع عشر للميلاد.
* **الرازى** (٨٥٠ - ٩١٢) كان جراحا عظيما كما كان أول من فرق بين مرض الجدرى والحصبة وألف عنهما ومن مؤلفاته كتاب (الحاوى) ويعتبر دائرة معارف طبية من ٢٤ مجلدا.
* **ابن النفيس** أول من وصف الدورة الدموية فى الأوعية الصغيرة وصفا صحيحا.
* **ابن البيطار** فى الصيدلة صاحب كتاب (الجامع فى الأدوية المفردة).
* **جابر بن حيان** ترجم الغربيون له سبعين كتابا كما ترجموا له كتاب (تركيب الكيمياء) إلى اللغة اللاتينية.

أما **مدرسة الإسكندرية** فتقف علامة ومنارة للحضارة الأوربية سعت إليها ونقلت عنها وترجمت لها الكثير والغزير.

يقول الكاتب الإسبانى الكبير (أبانيز) فى كتابه (ظلال الكنيسة) عن غزو العرب لإسبانيا كما أسلفت:

[لم تكن غزوة فتح وتدويخ بل حضارة جديدة بسطت شعابها على جميع مرافق الحياة. ولم يتخل أبناء هذه الحضارة زمنا عن فضيلة حرية الضمير وهى الدعامة التى تقوم عليها كل عظمة حقة للشعوب. فقبلوا فى المدن التى ملكوها كنائس النصارى وبيع اليهود .. ولم يخش المسجد، معابد الأديان التى سبقته فعرف لها حقها واستقر إلى جانبها غير حاسد ولا راغب فى السيادة عليها .. ونمت على هذا بين القرن الثامن والقرن الخامس عشر **أجمل الحضارات وأغناها فى القرون الوسطى**].

وشهد شاهد من أهلها.

بقيت كلمة: إن «امريجو» أحد أعضاء رحلة كولمبس إلى أمريكا «امريجو» هذا الذى سميت باسمه أمريكا بما له من يد طولى فى اكتشافها .. كان متأثراً بالمسلمين فى الأندلس تأثرا عميقا حتى أنه بعد عودته من رحلته، أعلن إسلامه على الرغم من وجود محاكم التفتيش.

هذا هو الإسلام عقيدة .. وشريعة .. وتاريخا .. وحضارة وارفة الظلال.